آخر ما كتب غسان كنفاني

حول قضية ابو حميدو
وقضايا « التعامل » الاعلامي والثقافي مع العدو

في الفترة القريبة الماضية تفجرت أحداث جزئية شغلت الكثير من الناس ، حول قضايا تتعلق بالمقاومة بالذات ، ولم تكن هذه الاحداث في حد ذاتها مهمة ، ولكنها كانت مناسبة لالقاء نظرة الى جذورها ، ومع ذلك فان مثل هذه النظرة لم تتح الى الآن ، ليس فقط لانغماس الكثير من المتناقشين في التفاصيل السطحية لهذه الاحداث ، ولكن أيضا بسبب التسارع المستمر للتطورات المحيطة بحركة المقاومة ، بحيث يندر أن تتاح الفرصة للقيام بامتحان عميق لحدث من الاحداث ، من جميع جوانبه ، قبل أن يطغى حدث جديد يشد الانتباه اليه ، ويغطي على ما عداه ، وهكذا .

لعل أبرز أحداث الفترة التي نتحدث عنها ، والتي تندرج في قائمة المواصفات التي أشرنا اليها ، هي مسألة « أبو حميدو » ، والضجة التي أثارتها الاتهامات التي وجهت اليه حول ما قيل عن قيامه باغتصاب فتاتين ، هما شقيقتان ، من بلدة حاصبيا مما دفع شقيقهما الى اطلاق الرصاص عليهما وقتلهما ، وردود فعل سكان البلدة الذين هبوا لغسل العار الذي لحق بهم ، ثم قرار محكمة الثورة القاضي بانزال حكم الاعدام بالفدائي « أبو حميدو » وذلك « كي يكون عبرة لغيره » ، على ان يجري تنفيذ هذا الحكم في ساحة البلدة ، وبقية القصة معروفة : فقد رفض سكان البلدة اعدام ابو حميدو ، وطالبوا بانسحاب الفدائيين من البلدة وجوارها ــ وقد انسحب الفدائيون فعلا ، وقصفتهم الطائرات الاسرائيلية ظهر اليوم التالي قبل أن يتمكنوا من مواقعهم الجديدة ، وتمويهها ، ولكن الطائرات الاسرائيلية قصفت ، أيضا ، شوارع البلدة ذاتها دون تمييز . وقيل فيما بعد ان « ابو حميدو » اصيب بجراح اثناء تعرض المنطقة للقصف ، ولعله كان واحدا من نزلاء السجن الذي تعمدت الطائرات الاسرائيلية ضربه .

وفي الوقت الذي كان حادث ابو حميدو ، وذيوله ، تشغل الجزء الاكبر من المناقشات المحتدمة في تلك الفترة ، كانت قضية أخرى تتفاعل على مستوى أقل حدة ، وهي قضية يمكن تلخيصها بـــ : حدود وضوابط العلاقات الاعلامية والثقافية عموما ، مع العدو الاسرائيلي . ففي تلك الفترة أخذ طالبان على عاتقهما أمر الاشتراك في برنامج تلفزيوني بريطاني ، من قبرص ، قاما اثناءه بمناقشة مباشرة مع طالبين اسرائيليين حول قضية فلسطين . وفي الفترة نفسها أخذت قضية « فنلي » ، في كلية بيروت للبنات ، (وهو الاستاذ الذي تغاضى عن وجود مقطع في كتـــاب دراسي مقرر ، يبـــرر الاغتصاب الصهيوني) ، تتفاعل ، وتنتقل الى صفحات الصحف اليومية ، وتصل الى حد المطالبة بطرد الاستاذ المذكور . اما قضية وجود مرجع طبي اسرائيلي في مكتبة الجامعة الاميركية ، فقد أخذت حيزا أقل من الاهتمام ، ومع ذلك فقد أدت الى طرح المسألة الاساسية في هذا النطاق .